

مقاربة إثنوغرافية للطب البديل في المجتمع الجزائري

الطب الصيني نموذجا

An Ethnographic Approach to Alternative Medicine in Algerian Society
Chinese Medicine as a Modelلطرش أمينة¹

جامعة وهران 2

anthropo2016@gmail.com

أ.د. ميموني بدر

جامعة وهران 2

mimbadri2013@gmail.com

تاريخ الوصول 2019/04/17 القبول 2020/10/19 النشر علي الخط 2021/03/15

Received 17/04/2019 Accepted 19/10/2020 Published online 15/03/2021

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى دراسة الطب الصيني كفرع من فروع الطب البديل، الذي يعتبر من أهم دراسات أنثروبولوجيا الصحة، التي من ضمن اهتماماتها الممارسين للعلاج بالطب البديل، ومفهومهم وثقافتهم حول الأمراض، حيث تعتبر الأفكار المرتبطة بالمرض والممارسات العلاجية، جزءا مهما من الثقافة. وذلك من خلال مقارنة إثنوغرافية لفلسفة الطب الصيني في أسباب وتشخيص وعلاج الأمراض.

الكلمات المفتاحية: طب بديل، طب صيني، أنثروبولوجيا الصحة، مرض، علاج، تشخيص.

Abstract :

The aim of this article is to study Chinese medicine as a branch of alternative medicine, where ideas associated with disease and therapeutic practices are an important part of culture.

Through a descriptive approach to the philosophy of Chinese medicine as to the causes, diagnosis and therapy of diseases, this study is one of the studies that arouses the interest of health anthropology, the latter is interested among others in the practitioners of alternative medicine, and their concept, and culture concerning diseases.

Keywords: Alternative Medicine, Chinese Medicine, Health Anthropology, Disease, Therapy, Diagnosis.

¹ المؤلف المرسل: أمينة لطرش الإيميل : anthropo2016@gmail.com

هذا المقال مستوحى من العمل المنجز في إطار التحضير لأطروحة دكتوراه علوم الموسومة: ممارسات الطب البديل في المجتمع الجزائري مقارنة أنثروبولوجية بقسنطينة بجامعة أحمد بن أحمد وهران 2، تحت إشراف أ. بدر ميموني معتمدم.

مقدمة:

لو تأملنا في نشأة الطب لوجدنا أنها ترافقت مع الألم الذي قدر للإنسان في مهده (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ)¹، لذلك كان هناك حاجة الإنسان إلى التداوي وحماية نفسه من كل التأثيرات المؤذية، هنا ظهر الطب بأساليبه العلاجية في شكلها البسيط من خلال طرق علاجية بسيطة تكاد تكون فطرية مثل: الراحة والحمية، فوائد البرودة والسخونة، ما يقيء وما يسهل، ما يسكن الألم وغيرها...، أو من خلال تصورات الإنسان البسيط لمسببات الأمراض والعلاجات التي غالبا ما يلجأ فيها إلى الطبيعة مثلا: فكرة تقليد العالم الحيواني في استعائته بالطبيعة كملاذ علاجي أثناء إصابته بأي مرض وغيرها من الإمكانيات البيئية المتاحة له. من هنا وفي إطار تلك العلاقة الوطيدة بين كل من الإنسان وبيئته الطبيعية والسوسيو ثقافية أصبح لكل شعب نمط طبي وطريقة تداوي خاصة به، ليصطبغ هذا النوع من الطب والتداوي بصيغة مأخوذة من بيئته التي نشأ وترعرع بها.

في العقود الأخيرة تجلّى ذلك الصراع بين كل من الحداثة والتقليد مس جميع مجالات الحياة الاجتماعية دونما استثناء، وكذا المجالات الصحية، يظهر ذلك من خلال تحديث الثقافة العلاجية التقليدية؛ أي ظهور ثقافتين أولهما تقليدية محضة وثانيهما تقليدية مستحدثة، تتجلى في إعادة البحث في تراث العلاجات التقليدية والعمل على بنائها وفقا للطريقة المعاصرة. الأمر الذي فسره فرناند دمون Fernand Dumont في تمييزه بين نوعين من الثقافة: الثقافة التأسيسية التاريخية والتراثية المترسخة (رموز، عادات، تقاليد موروثية)، وثقافة إعادة بناء المعنى الأصلي البديهي النابع من الثقافة الأولى ويعتبر أن الحداثة في الثانية². لقد ظهر مؤخرا ما يسمى بالطب البديل الذي "يشير إلى مجموعة واسعة من الرعاية الصحية، التي ليست جزءاً من تقاليد البلد نفسه أو الطب التقليدي فيه، وهذه الممارسات ليست مدججة إدماجاً كاملاً في نظام الرعاية الصحية السائد، وهي تستعمل بصورة تبادلية أو (تناوبية) مع الطب التقليدي (الشعبي) في بعض البلدان"³.

من خلال هذه الدراسة حول الطب البديل، ومعايشتنا للممارسين له والمهتمين به في عدة مناطق من الجزائر، لاحظنا أنّ هناك امتزاج بيني بين كل من التقليد والحداثة يظهر في مجموعة من العلاجات الشعبية الخاصة بعدة بلدان استحدثت سواء في استعمالها بإخضاع البعض منها لبحوث علمية، وإثبات نجاعتها في علاج بعض الأمراض أو بابتكار أدوات ووسائل العلاج، بين ثقافة البلد المضيف لهذه العلاجات وثقافة بلد المنشأ على غرار الصين والهند نشأ تنوعاً ثقافياً يظهر في أساليب التشخيص والممارسات العلاجية.

¹ قرآن كريم ، سورة البلد ، الآية 4.

² محمد شوقي الزين، فلسفات الثقافة المعاصرة أما متحديات العلوم الإنسانية، دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران 02، العدد 08، 2019، ص: 55.

³ منظمة الصحة العالمية (2013)، استراتيجية منظمة الصحة العالمية في الطب التقليدي (الشعبي) 2014-2023، موقع المنظمة

http://www.who.int/.about/licensing/copyright_form/en/index.html, Consulté le 22/12/ 2014، ص

إن التحولات التي شهدتها الجزائر في مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية، الثقافية وكذا الاجتماعية مست أيضا النظام الصحي تظهر من خلال انتشار المنشآت الصحية في القرى و المداشر والمستشفيات الضخمة المجهزة بتقنيات تكنولوجيا عالية فائقة التطور في المدن والعيادات الخاصة. لكن رغم هذا كله ظهر ممارسين لما يسمى بالطب البديل كل حسب اختصاصه ومستواه الاجتماعي والثقافي،

وانشرت عيادات ومراكز خاصة للتداوي به، إضافة إلى رواج أنماط أجنبية كثيرة من هذا الطب مثل: العلاج بالطاقة، العلاج بسم النحل، العلاج بالأعشاب الطبية، العلاج بالعلق الطبي، وغيرها من العلاجات التي يتصدرها الطب الصيني التقليدي، الذي تُستعمل فيه مجموعة من التقنيات الصينية كالوخز بالإبر l'acupuncture، والدلك massage chinoise، العلاج بالحجامة les ventouses، المعالجة الانعكاسية laRéflexologie، والعلاج بالضغط Acupressure، والسجوك SuJok،...، واكتساب الجزائريين لثقافة المعالجة بأساليبه.

سنحاول من خلال هذه الدراسة محاولة معرفة فلسفة الطب الصيني في تحديد أسباب الأمراض وتشخيصها وعلاجها (من منطلق منظور مدرسي وممارسي الطب البديل)؛ لأن الأفكار المرتبطة بالمرض والممارسات العلاجية تعتبر جزءا مهما من ثقافة المجتمع، وقد انتهجنا في دراستنا المقارنة الكيفية، معتمدين فيها على كل من تقنية الملاحظة (الملاحظة بالمشاركة)؛ من خلال حضور دورات تدريبية حول الطب الصيني؛ دورات خاصة بالحجامة بالإبر الصينية، ودورة في التدليك، ودورة في التشخيص. كما اعتمدنا على تقنية المقابلة مع مجموعة من المدربين ومع المعالجين بالطب البديل والمتدربين المشاركين في هذه الدورات مقابلات فردية وأخرى جماعية¹.

1. أنثروبولوجيا الطب البديل:

تندرج هذه الدراسة في اهتمامات الأنثروبولوجيا الطبية، التي لم تعد دراسة لأنساق طبية بديلة ولا للمعتقدات ولا الممارسات البديلة فقط، وإنما تحول اهتمامها إلى التركيز على كيف يتم التكوين والبناء الثقافي لجميع المعارف المتعلقة بالجسم والصحة والمرض²، كما تهتم بفهم الصحة في إطار الثقافة ودراسة الاثنين باعتبارهما نسقا متكاملًا من الفكر والممارسة، يرتبطان ويتداخلان مع كثير من المفاهيم المحلية كالرمزية symbolisme والأنشطة والممارسات الشعائرية أو الطقوسية وأساليب العلاج، وهذه خلفيات نظرية ومنهجية هامة للغاية لا سيما إذا كان المجتمع المحلي مقبلا على استعارة بعض النماذج الطبية والممارسات العلاجية من خارج مضمون وجوهر ثقافته الأصلية. ولكن إذا كان علماء الأنثروبولوجيا الطبية بإسهاماتهم النظرية والمنهجية ينظرون إلى ذلك الهدف بأنه فهم للمعتقدات الثقافية لأعضاء ثقافة ما ومدى استجابتهم للوضع الجديد، فإن فان جنب Van Genep نظر إلى تلك المسألة بأنه يجب دراستها

¹ هذه المادة العلمية استخلصناها من خلال الملاحظات التي سجلناها والمقابلات التي قمنا بها أثناء الدورات التدريبية (مع المدربين والممارسين للعلاج بالطب البديل):

- دورة تدريبية حول الحجامة المستوى الأول مع د. طارق ربيع، جامعة الإسكندرية 2015، سطيف.
 - دورة تدريبية حول الإبر الصينية المستوى الأول مع د. طارق ربيع، مصر، 21-24/08/2016، سطيف.
 - دورة تدريبية حول الحجامة والعلق الطبي مع د. أحمد حلمي صالح، مصر 20-22/07/2017، أم البواقي.
 - دورة تدريبية حول التشخيص في الطب الصيني، د. محمود الشعراوي، مصر، 8-10/02/2017، الجزائر العاصمة.
- ² أليس اسكندر بشاي، "الاتجاهات الحديثة في دراسة الطب الشعبي التقليدي، بقلم محمد محمود الجوهري وزملائه، 77-202. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2009، ص 101.

وفهمها على ضوء ما تؤديه الأهداف أو الأغراض الجديدة من تكيف مع عناصر البناء الاجتماعي المتغير؛ كما تهدف إلى تشييد وتنمية برامج التقويم والاختبار للمشروعات التجريبية لمجالات الصحة والرعاية الطبية، حيث تدعم هذا الاتجاه في الأوساط الطبية والأكاديمية منذ أواخر السبعينات من خلال إسهامات منظمة الصحة العالمية التي بدأت تتجه في تقويمها للمشروعات الطبية والصحية إلى الاستفادة من خبرات الممارسة الطبية المحلية في الطب الشعبي¹.

ما جعل منظمة الصحة العالمية في مجال الطب الشعبي تعتمد استراتيجيتين في مجال الطب الشعبي التكميلي، الأولى منها كانت ما بين 2002-2005، أما الثانية فكانت ما بين 2014-2023، وتم إعداد استراتيجية الطب التقليدي (الشعبي) والتكميلي لمنظمة الصحة العالمية 2014-2023؛ وعن هذه الأخيرة فقد اتبعت استجابة لقرار جمعية الصحة العالمية ذي الرقم (ج ص ع 13-62) حول الطب التقليدي (الشعبي) والتكميلي مساعدة للقائمين على شؤون الرعاية الصحية في إيجاد الحلول التي تساهم في تحقيق رؤية أوسع لتحسين الصحة من جهة، وتحقيق الاستقلال الذاتي للمريض من جهة أخرى، واستندت هاتين الاستراتيجيتين على هدفين رئيسيين ألا وهما:

أولاً: دعم دول الأعضاء في استغلال المساهمة المحتملة للطب التقليدي (الشعبي) والتكميلي في تحقيق الصحة والعافية وفي الرعاية الصحية التي تركز على الإنسان.

ثانياً: تعزيز الاستعمال المأمون والفعال للطب التقليدي (الشعبي) والتكميلي عن طريق تنظيم المنتجات والممارسات والممارسين، ويمكن بلوغ هذه الأهداف من خلال تنفيذ ثلاثة أهداف استراتيجية هي:

- بناء القاعدة المعرفية وصياغة السياسات الوطنية.
- تقوية أسباب المأمونية والجودة والفعالية عن طريق الضبط والتنظيم.
- تعزيز التغطية الصحية الشاملة، عن طريق إدماج خدمات الطب التقليدي (الشعبي) والتكميلي والرعاية الصحية الذاتية، في النظم الصحية الوطنية².

وقد نتج عن اعتماد تطبيق هاتين الاستراتيجيتين انتشارا واسعا لما يسمى بالطب البديل أو الطب التكميلي في كل أنحاء العالم، وفقا لما أقرّه المركز الوطني للطب البديل والتكميلي³، مصطلح الطب التكميلي والبديل (CAM) هو مصطلح عام يشمل كلا من تعبيرات "الطب التكميلي" و "الطب البديل"؛ يستخدم الطب التكميلي مع الطب الرسمي (الحديث)، في حين يستخدم الطب البديل بدلا من الطب الرسمي⁴، ويُعرفه أيضا بأنه نموذج من الرعاية الصحية يعتني بكل العوامل التي تؤثر بالصحة والعافية والمرض، بما في ذلك

¹ هندومة محمد أنور حامد، الأنثروبولوجيا الطبية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2016، ص 16، بتصرف.

² منظمة الصحة العالمية، استراتيجية منظمة الصحة العالمية في الطب التقليدي (الشعبي) 2014-2023، المرجع السابق، ص 11-12 بتصرف.

³ مركز ديوك للطب البديل والتكميلي أسس في 2001 بجامعة ديوك، عضو في رابطة المراكز الصحية الأكاديمية للطب التكاملية وهي جمعية لجامعات الولايات المتحدة الأمريكية وكندا.

⁴ Online, G, Complementary and Alternative Medicine (CAM) in Medica, Journal of Society and Space. 11 issue 1 ©12, 2015, pp. 183 – 193, p 183.

الأبعاد النفسية والروحية بذلك الشخص، وهدفه هو العناية بالشخص ككل، وهو نموذج تحولي للرعاية الصحية للقرن الحادي والعشرين¹.

ويلاحظ **مارك ميكوزي Marc Micozzi** بأنّ هناك اهتمام كبير بمجال الطب التكميلي والبديل² (CAM)، لكن بالرغم من أهميته إلاّ أنّه لم يأخذ حقه الكافي في مجال البحوث الأنثروبولوجيا الطبية، ويشير **ميكوزي** إلى أن الأبحاث الطبية الحيوية المعاصرة تركز في المقام الأول على "التحقيق في آليات العمل والنتائج السريرية" المتعلقة بالطب البديل التكميلي (CAM)، وأن البحوث التي أجريت على الطب البديل في المؤسسات الطبية الأكاديمية في جميع أنحاء الولايات المتحدة تشير إلى عدم اكتمال النموذج الاختزالي في مجال الطب الحيوي، ويلاحظ كذلك بأنّ البحث الأنثروبولوجي ضروري لفهم القيود المفروضة على النماذج الحالية لبناء نماذج جديدة، لذا يجب اقتراح منظورات أنثروبولوجية anthropological perspectives على السياقات التاريخية والتزامنية التي تظهر فيها هذه الظاهرة الثقافية، والتي يطلق عليها غالباً الطب التكامل³.

في أوائل القرن الواحد والعشرين تم طرح العديد من التساؤلات الهامة في مجال الأنثروبولوجيا الطبية المتعلقة بالطب التكميلي والبديل (CAM) لاسيما دراسة الطب التكميلي في العلاقة مع مفهوم التعددية الطبية. وتقوم تطبيقات الطب البديل حسب مركز الطب البديل والتكميلي⁴ على أربعة مبادئ:

- استشارة القدرات الطبيعية لجسم الإنسان.
- تخليص الجسم من السموم والشوائب.
- استخدام منتجات الطبيعة البكر.
- الاستفادة من تراث وخبرات في علاج الأمراض⁵.

¹ ديفيد سيرفان شراير، موسوعة الدويك للطب الحديث الطب التقليدي والبديل لجميع الأعمار، مكتبة جرير المملكة العربية السعودية، 2010، ص 18.

² Complementary and alternative medicine

³ Shelley R. Adler. (2002), Integrative Medicine and Culture: Toward Anthropology of CAM, Med Anthropol Q, pp. 412-414, p 412 in :

<https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC2764405/>

⁴ المركز الوطني للطب البديل والتكميلي صدر تاريخ 10-8-1429 هـ بالمملكة العربية السعودية ويعمل باعتباره جهة مرجعية وطنية في كل ما يتعلق بنشاطات الطب البديل والتكميلي. ويرتبط المركز بوزير الصحة مباشرة، كما يستعان بلجنة استشارية من المسؤولين والمختصين. وللمركز الاستعانة بالخبراء في المجال من خارج المملكة. وقد جاء التكوين من أجل ضبط ورقابة وتنظيم وتوعية عامة المجتمع بكل ما يخص الممارسات والتطبيقات الخاصة بالطب البديل والتكميلي بالمملكة.

⁵ عبد الله البداح، تحديات وإمال المركز الوطني للطب البديل والتكميلي، مجلة طب، المركز الوطني للطب البديل والتكميلي، الرياض، العدد الأول، 2012، ص 06، موقع المجلة الإلكتروني:

إنَّ التجربة والواقع الطبي أثبتا وجود بعض القصور في الرعاية الصحية للمرضى، وظهور عوائق ثقافية واجتماعية حالت دون الأداء المهني الأمثل للأطباء، ولقد وُجدت العديد من العلوم في مقدمتها الإنسانية والاجتماعية التي عنيت بدراسة مسائل الصحة والمرض، خاصة منها العلوم الأنثروبولوجيا الصحية¹، هذه الأخيرة التي تهتم بالجانب الثقافي للعلوم الطبية والصحية، كما أشار إليه في هذا الصدد **فابريجا Fabreg** "بعد المناقشات الحرجة حول مساهمة علماء الأنثروبولوجيا في الأنظمة الطبية التعددية في مجتمعات ما بعد الحداثة، فمن الضروري أن يتبنوا منهجًا ثقافيًا حيويًا"²، إنَّ التفسير الثقافي والاجتماعي ضروري لفهم الممارسات الصحية، فحسب **دافيد لوبرتون David Le BREUTON** تجيب تعددية الممارسات الطبية التي تستجيب للتعددية الاجتماعية والثقافية للعالم الذي يعيش فيه كل مجتمع، فالنظم العلاجية عديدة وتشهد على أنماط مختلفة من الكفاءة والعلمية، إنها تقدم نماذج متنوعة و متناقضة وغير عادية، يجب فهمها في تفردا الاجتماعي والثقافي وجوانبها الأنثروبولوجية؛ حيث تقوم المجتمعات البشرية ببناء معنى وشكلا لكون الذي تتحرك فيه وحدود فعل (l'action) الإنسان على بيئته هي في المقام الأول حدود المعنى (le sens)، قبل أن تكن حدوداً موضوعية، وكل نظام رمزي يتحكم في نظام الفعل على البيئة أو على الإنسان نفسه، وينتج كفاءات متوقعة بشكل جماعي، خاصة في التكفل بالمرضى³.

لقد انتشرت ممارسات الطب البديل والتكميلي في كل أنحاء العالم دونما استثناء، فحسب **طارق ربيع**⁴ "لقد زادت الدعوات التي تحتاح العالم والتي تطالب بالعودة إلى الطبيعة بعد أن خلفت الحضارة الحديثة آثارا سلبية على حياة الإنسان والبيئة، وقد زادت هذه الدعوات في كل من أمريكا وأوروبا إلى زيادة التعامل مع الطب البديل كطب يشفي ولا يضر، ولا يعرف معه متاعب الآثار الجانبية أو التفاعلات المتداخلة للأدوية مع بعضها، فلكي يشفى مريض يصاب بمتاعب في جزء آخر، وقد تعالت الأصوات في أمريكا بأن الأدوية الكيميائية شفاء للأعراض لا للأمراض؛ حيث تحولت الأعراض إلى أمراض مستعصية، ويعمل الطب الصيني في قلب أمريكا وأوروبا من خلال الأحياء الصينية على علاج الأمراض المستعصية بالطب البديل، وبدأت معظم الدول تتجه إلى الشرق لنقل تجارب وخبرات في الطب البديل وفروعه، والتعرف على هذه الطرق العلاجية التي تنظر للإنسان نظرة شمولية كوحدة متكاملة، والابتعاد عن السلوكيات الغذائية الضارة والأنشطة المؤذية"⁵، هذا ما فسره **دافيد لوبرتون David Le Bereton** في قوله: "أصبحت المعتقدات والممارسات العلاجية الشعبية، والتي كان ينظر إليها على أنها ممارسات لا عقلانية أو سحرية وأنها ممارسات مقرونة بالشعوذة والمشعوذين، تشمل على أنماط حديثة من العلاج والمعالجين مثل العلاج بالوخز بالإبر والعلاج التجانسي والعلاج بالطاقة والعلاج بالأعشاب

¹ إبراهيم السباعي، هل يجهد الطبيب مريضه ومجتمعه؟ رؤية نقدية لمخرجات التعليم الطبي، مجلة طب، المركز الوطني للطب البديل والتكميلي، الرياض، العدد الثاني، 2014، ص 13، موقع المجلة الإلكتروني:

<https://web.archive.org/web/20190415075113/http://www.nccam.gov.sa/%d9%85%d8%ac%d9%84%d8%a9-%d8%b7%d8%a8%d8%aa.aspx>

² Online, G, Complementary and Alternative Medicine (CAM) in Medical, Journal of Society and Space. 11 issue 1 ©12, 2015, pp. 183 – 193, p 18

³ David Le Breton, Anthropologie du corps et modernité, Puf, France, 7 éme ed, 2017, p 107.

⁴ دكتور فيسيولوجيا الرياضة جامعة الاسكندرية، خبير العلاج بالطب التكميلي جامعة شينغهاي، أستاذ زائر بالأكاديمية الصينية للعلوم الطبية الصينية.

⁵ طارق ربيع، سلسلة الطب البديل التايجي، مكتبة ابن سينا للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005، ص 13.

الطبيعية والتداوي بالألوان والبلور وكذلك العلاج الروحي، والتي اصطلح عليها جميعا بالثقافات الطبية الفرعية؛ حيث تتضمن كل منها طريقة خاصة في تفسير وعلاج المرض، ومن ثم فقد أصبحت تعطي للإنسان أملا جديدا في الشفاء من أمراض مستعصية وتقدم له صورة جديدة لمرضه وجسده وتكسبه بعدا رمزيا لوجوده كإنسان وتعطيه الحس الضروري بالأمان والبعد عن القلق".¹

من خلال بعض الإحصائيات العالمية لاستخدام الطب البديل حسب منظمة الصحة العالمية OMS، ثمة طلب شديد على ممارسات الطب التقليدي (الشعبي) وممارسيه في جميع أنحاء العالم، ففي استراليا تزايدت بسرعة ملحوظة الزيارات التي يستقبلها مهنيو الصحة التكميلية، كالمختصين بالوخز الإبري وممارسي الطب اليدوي، والمعالجين الطبيعيين، بزيادة بلغت 30% خلال الفترة من 1995 إلى 2005، عندما سجلت 750 000 زيارة خلال فترة أسبوعين؛ وبين مسح وطني أجري في الصين أن عدد الزيارات الخاصة بالطب التقليدي (الشعبي) والتكميلي قد بلغ 907 ملايين في عام 2009 ما شكّل 18% من مجموع الزيارات الطبية للمؤسسات التي شملها المسح؛ كما بلغ عدد مرضى الطب التقليدي (الشعبي) والتكميلي الداخليين 6.13 مليون شخص أو 16% من مجموع المستشفيات التي شملها المسح، وفي جمهورية «لاو» الديمقراطية الشعبية يعيش 80% من السكان في مناطق ريفية تضم 9113 قرية، في كل قرية منها ممارس أو ممارسان في مجال الصحة الشعبية، ويقدم ما مجموعه 22618 ممارسا صحياً شعبياً جانباً كبيراً من خدمات الرعاية الصحية لحوالي 80% من مستلزمات صحة السكان، أما في المملكة العربية السعودية فقد أظهرت دراسة أجريت مؤخراً أن كل فرد يدفع من جيبه 560 دولار أمريكي كل عام لقاء خدمات الطب التقليدي (الشعبي) والتكميلي.²

حسب المنظمة الجزائرية لحماية وإرشاد المستهلك فإن 53% من الجزائريين يقصدون محلات الطب البديل لعلاج أمراضهم النفسية والعضوية، من خلال سير آراء وطني قامت به هذه المنظمة شمل مختلف الشرائح والأعمار والمستويات من كل الولايات.³

إنّ أهم ممارسات الطب البديل الأكثر انتشارا في الدول الغربية والعربية وحتى في الجزائر هو الطب الصيني كما أسلفنا سابقا؛ "الطب التقليدي الجديد الذي يتناسب مع مصطلحات عالمية في فئة "الطب البديل والتكميلي"⁴ حسب منظمة الصحة العالمية "من الممارسات التي أمكن تحقيق تقدم ملموس في تداولها ممارسة الوخز الإبري التي هي إحدى ممارسات الطب الشعبي الصيني، فقد عم استعمالها في كافة أنحاء العالم، وتشير التقارير المقدمة من 129 بلداً، إلى أن 80% من هذه البلدان أصبحت تعترف باستعمال الوخز الإبري".

¹ David Le Breton, Anthropologie du corps et modernité, Puf, France, 3 éme ed, 2013, p 191-192.

² منظمة الصحة العالمية، استراتيجية منظمة الصحة العالمية في الطب التقليدي (الشعبي) 2014-2023، المرجع السابق، ص 26.

³ جريدة الشروق: بعنوان محلات الأعشاب والرقية تستقطب الجزائريين، يوم 2017/10/11، اطلعنا عليهم يوم 2017/12/17 في الساعة 22:00،

موقع <https://www.echoroukonline.com>

⁴ Évelyne Micollier, Facettes de la recherche médicale et de la gestion du VIH-sida dans le système de santé chinois : un autre exemple d'adaptation locale de la biomédecine, Sciences sociales et santé, le site web, <https://www.cairn.info/revue-sciences-sociales-et-sante-2007-3-page-31-39htm>, p

لقد أدخل الوخز بالإبر الصينية حسب الدكتور أحمد حميد الإبراهيمي¹ إلى الجزائر في حدود الخمسينيات من القرن الماضي بفضل الأطباء الفرنسيين الذين كانوا في الفيتنام والذين تعلموا أسرار وقواعده ثم نقلوها إلى الجزائر عبر الكثير من مستشفيات الوطن، وبعد الاستقلال؛ زارت الجزائر وفود من الأطباء الصينيين فنشروا هذا الطب أكثر مما فعل الفرنسيون، وزادت شهرته في السبعينيات بفضل اكتشاف الصينيين دور الإبر في التخدير وفي علاج الآلام، وأصبح المرضى يزورون الجزائر من كل حذب وصوب، وفي الثمانينيات بدأ عهد جديد عندما أشرف الأطباء الجزائريون أنفسهم على تدريس هذا الطب، وحاليا يزداد الطلب على هذا الطب البديل أكثر فأكثر، كما أن عدد الأطباء في هذا المجال قد ازداد، لكن يبقى عدد المتمرسين وذوو الخبرة قليلا جدا، لا يتجاوز 30 طبيب على مستوى الوطن.²

2. فلسفة الطب الصيني:

يعود الفضل في وضع مبادئ الفلسفة العلمية لتحليل وتفسير الظواهر الطبيعية كافة إلى عهد الأباطرة في الصين ويعتبر الإمبراطور فو زي³ Fou Zi أول من صنع إبر العلاج عن طريق الوخز، وبعده جاء إمبراطور الصين "شن نونج" المزارع المقدس تذوق بنفسه مئات الأعشاب لمعرفة خواصها العلاجية، ثم جاء "هوانج دي" الإمبراطور الأصفر الذي أدخل الموسيقى والطب والرياضيات والأسلحة إلى الناس في الصين، وتؤكد الموروثات أن هذه الشخصيات الأسطورية الثلاث عاشت في الفترة ما بين 4000 إلى 2500 سنة قبل الميلاد⁴. لا تزال تعاليم هؤلاء تشكل الأساس الذي تقوم عليه بعض المبادئ المعروفة حاليا مثل كتاب "دليل الأعشاب التقليدية للمزارع المقدس"⁵، وكتاب هوانج "مبادئ طب الباطنة"⁶، يرجع العلماء هذه الكتابات المبكرة إلى الفترة من 400 إلى 500 عام قبل الميلاد، بالرغم من أنها تعتمد بالفعل على موروثات سابقة لذلك، ولا تزال أساليب العلاج والتداوي التي ذكرت في هذه الكتب مستخدمة حتى يومنا هذا.

يعتمد الصينيون على الفلسفة الطاوية التي تقوم على الدعوة إلى الفضيلة⁷ كطريقة مثلى لتحقيق الرخاء والخلود وضمان طول العمر، لم يكن الحال يختلف في الصين قديما عما كان عليه الوضع في الغرب، فلم يكن هناك فهما كاف لتشريح جسم الإنسان ووظائف أعضائه، فقد كان عدد الجراحات التي تجري محدودة، وكان الأطباء يستعينون فقط بالمعلومات الخارجية التي حصلوا عليها في كيفية عمل أجهزة الجسم الداخلية، لكن لم تكن هناك معرفة بأن الكائنات الدقيقة تعتبر من أحد المصادر المسببة للمرض، ويعتمد المذهب الطاوي على ربط كل من الصحة والمرض بالبيئة، كما كان أبقرراط يفعل في الغرب في هذا الوقت، ولقد كان هناك اعتقاد بأن

¹ أول طبيب جزائري متخرج من الدفعة الجزائرية للعلاج بالإبر في سنة 1979، تخرج من المدرسة الفرنسية للوخز بالإبر بباريس و من أكاديمية الطب التقليدي الصيني ببيكين.

² جريدة الشروق 25.07.2006. اطلعنا على المقال يوم 2017/07/22 في الساعة 20:18. بموقع الشروق. <http://www.echoroukonline.com/ara/?news=6222>

³ أنظر كتاب الدليل العلمي للطب الصيني: فهم مبادئ الطب الصيني وممارستها، لبيتولوب أودي، ترجمة درا الفاروق للنشر والتوزيع، 2002.

⁴ لا يوجد دليل يؤكد ما إذا كان هؤلاء الأباطرة قد كان لهم وجود بالفعل لكن تعاليمهم حفظت للشعب الصيني، وأدخلت عليها تعديلات من أجيال إلى أخرى هذا حسب صاحب الكتاب.

⁵ أول كتاب حول الأعشاب الطبية الصينية

⁶ يتضمن مناقشات حول الأمراض وتشخيصها مع وزيره وو بينج

⁷ يقصد بالفضيلة التصرف بما يتوافق مع الطبيعة والتعايش بانسجام مع الأشياء كافة من حولنا.

المرض عبارة عن شروخ خارجية تلحق الشخص واختلال في التوازن الداخلي لسريان الطاقة عبر القنوات التي تخيلوها وجودها في الجسد - مثل شبكة الأوعية الدموية-، في القرن الرابع للميلاد كان "قبن يورين" الملقب باسم "بيان قو" أول من أرسى الأساليب الأربعة للتشخيص التي لا يزال الأطباء الصينيين يستخدمونها حتى وقتنا هذا¹.

يعتبر الطب الصيني التقليدي أحد أقدم وأعقد الأنظمة لداء الأمراض وعلاجها، ويشمل كل من الوخز الإبري، الطب العشبي، التدليك وأساليب أخرى باستخدام اليد والتغذية والرياضة، وفي أسلوبه المتبع للتشخيص والعلاج يأخذ في الحسبان الارتباط بين الجسم والعقل والروح، وكذلك تأثيرات البيئة الطبيعية والاجتماعية على الفرد. يدمج الطب الصيني التقليدي عناصر من ممارسات الشفاء الدينية والشعبية التي نشأت في الصين منذ آلاف السنين ويتم تعليم الطب الصيني التقليدي في المدارس الطبية في الصين وأجزاء أخرى من آسيا بشكل منظم وكثيرا ما يستخدم جنباً إلى جنب مع الطب الغربي لعلاج حالات مثل الألم المزمن، الغثيان المرتبط بالكيماوي والتهاب المفاصل وقد انحدر استخدام الطب الصيني التقليدي أثناء النصف الأول من القرن العشرين لصالح الممارسة الطبية الغربية، ولكن تم إحيائه في الصين عندما أتى الحزب الشيوعي إلى السلطة عام 1949 أُنشئت وأرسل الحكام الشيوعيون الباحثين إلى المناطق الريفية ليتعلموا من المعالجين الفلاحين ممارسات الطب التقليدي وقد اختبر هؤلاء الباحثون هذه العلاجات ليروا أيها ينفع، فأدخلت المدارس الطبية الصينية في مناهجها العلاجات التقليدية التي بدت فعالة، وقد أدخل "جورج سوليه دي موران" الوخز الإبري إلى الغرب في العشرينيات من القرن الماضي، واليوم يستخدم الوخز الإبري وعناصر الطب الصيني التقليدي الأخرى جنباً إلى جنب مع الطب الغربي في أجزاء كثيرة من العالم الشرقي والغربي، ويجاز المعالجون بالوخز الإبري عادة من قبل الدولة أو المجالس القومية².

كما يوجد الآن أكثر من 25 كلية رئيسية للطب الصيني التقليدي TCM³ وتضم أكثر من 20000 طالب في كل كلية، ذلك بخلاف الدورات التدريبية في هذا المجال، وانتشر علم الوخز بالإبر في آسيا وأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وإلى المغرب الأوسط (دول الجزائر حالياً) والقطر العربي، ويعد من أقدم الوسائل الطبية حيث توجد نقوش على العظام تسجل استخدام الإبر الصينية ويرجع تاريخها (1600 ق.م). في حين تشير البردية المصرية القديمة التي يرجع تاريخها (1550 ق.م) إلى مسارات الطاقة أو ما يسمى بالأوعية الكهربائية، وفي 1975 اعترفت منظمة الصحة العالمية (OMS) بالإبر الصينية والطب البديل كعلاج للعديد من الأمراض، وأصبح الآن يوجد ما يسمى بالإبر الطبية أو الإبر الصينية الحديثة حيث هناك اختلافات كبيرة من حيث طرق التشخيص ومن حيث فاعلية العلاج مع إهمال فكرة الين واليانغ ويعتمدون في تأثير الإبر الصينية على التأثير على الجهاز العصبي والمناعي والهرموني وأن جزءاً كبيراً من فاعلية العلاج قائمة على زيادة إفراز الاندوروفينات والكيماويات المسكنة للألم، وبذلك أصبح العلاج بالإبر الصينية قائم على مفاهيم جامعة بين الطب الغربي والطب الصيني وقد حددت منظمة الصحة العالمية حوالي (100) مرض قابل للمعالجة بالإبر الصينية واستخدامها في التخدير لإجراء العمليات الجراحية مازال قاصراً على الصين⁴.

1.2 نظريات الطب الصيني:

تختلف نظرية الطب الصيني عن نظرية الطب الغربي؛ فالطب الصيني لا يتعامل مع المرض العضوي من الناحية الفيسيولوجية والبيولوجية بالطريقة الكيميائية التي تؤدي إلى علاج الأعراض فقط، دون الاتجاه إلى الشفاء تماماً كما في الطب الغربي وإنما يعالج المريض

¹ بينلوب أودي، الدليل العلمي للطب الصيني، الفاروق للنشر والتوزيع، مصر، 2002، ص 09.

² ديفيد سيرفان شراير، موسوعة الدويك للطب الحديث الطب التقليدي والبديل لجميع الأعمار، المرجع السابق، ص 446.

³ Traditionnel chinoise médecine

⁴ دورة تدريبية حول الإبر الصينية مع الدكتور طارق ربيع، جامعة الإسكندرية، سطيف 2016/8/24-23-22-21.

أولاً ثم المرض، حيث يتم تشخيصه من خلال الناحية البيولوجية و الفسيولوجية وارتباطه بالعوامل الخارجية والداخلية، متعامل مع المرض على أنه خلل في طاقة هذا العضو ومهمته حماية هذه الطاقة وتقويم أي اختلال في توازنها داخل الجسم، فالطب الصيني في مجمله يعتبر طباً وقائياً والعلاج فيه يتم من خلال التعامل مع الطاقة الحيوية عن طريق الوخز بالإبر؛ الذي يستخدم وحيداً أو مع مجموعة من العلاجات المركبة في نظام معقد: كالأعشاب الطبية، التغذية العلاجية، التدليك والحمامة، التمرينات...، وهذا الأسلوب العلاجي يساعد الجسم على إعادة التعاون والتوازن الداخلي وتحديد الطاقة ومن ثم الوقاية والعلاج من المرض، وتقوم نظرية الطب الصيني على علاقة جسم الإنسان بالبيئة الخارجية والعلاقة بين أجزاء الجسم المختلفة ووظيفة أعضائه.

لقد ربط الطب الصيني بين عناصر الطبيعة وما يدور داخل الإنسان فطبق هذه النظرية على الأعضاء الداخلية بعضها البعض. كما اكتشف مسارات وخطوط وهمية تقع عليها نقاط خاصة بالأعضاء، فلكل عضو مسار ولكل مسار تقع عليه نقاط خاصة به، وقد تشارك هذه النقاط في علاج أكثر من مرض أو عضو. يلاحظ الطب الصيني على أن الكون يشتمل على خمس عناصر: الأرض، الماء، الخشب، النار، المعدن؛ هذه الأخيرة يمكنها إحداث علاقة التوالد والرقى الذي يفسر بأن النار من الخشب، والأرض من النار، والمعادن من الأرض، والماء من المعادن والخشب من الماء، وعلاقة التحكم والكبح تظهر في تحكم الخشب في المعدن والأرض يتحكم فيها الخشب، والمعدن يتحكم فيه النار والماء يتحكم فيه الأرض، فالماء يتسبب في تكوين الخشب والخشب في تكوين النار التي بدورها تعيد المكونات إلى الأرض فتكون المعادن مما يتسبب في تكوين الماء مرة أخرى، على الجانب الآخر فإن مظاهر النشأة والتحكم تتسبب في تحديد وإضافة العناصر نفسها، فهي تعد أساسية فيما يتعلق بالحفاظ على التوازن و الانسجام.

كل عنصر من هذه العناصر له علاقة بعضو من أعضاء الجسم التي ربطها الطب الصيني ببعضها البعض وقسمها إلى أعضاء مصمتة، وأعضاء مجوفة، وأطلق عليها مصطلح "الضانك فو" الذي ينقسم إلى قسمين "الضانك" وهو المصمت أو الجامد، و "فو" هو الشيء الفارغ ومن هنا جاء هذا المسمى أي الأجوف. لكل عضو من الأعضاء المصمتة زوجاً أجوفاً يتم الربط بينهما من خلال خطوط الطاقة، ويفسر هذا بحجرة العضو من موضعه الأصلي في المرحلة الجنينية، مما يكون مسار الطاقة، فالقلب متزوجاً مع الأمعاء الدقيقة المسؤولة عن المواد الصافية التي يستفيد منها الجسم والمواد العكرة التي يتخلص منها عن طريق الإخراج، وهو يتحكم في الأنشطة العقلية والدورة الدموية والأوعية. تعكس البشرة حالته، ومرآة القلب في اللسان، مثلاً إذا كانت قمة اللسان شديدة الحمرة نار في القلب اللسان شاحب نقص طاقة القلب دأكن أزرق ركود الدم، ويمثل عنصر النار (تصعد لفوق تتصاعد ثم تفشل وتنطفئ مثل أمراض القلب والأمعاء الدقيقة). أما الرئتان فهما مُتزوجتان مع الأمعاء الغليظة التي تتحكم في السوائل، تتحكمان في الطاقة والتنفس، وتحافظان على حركة السوائل للأسفل، وتنظيم دورة الماء في الجسم، ترتبطان بالأنف، تنعكس الطاقة الخاصة بهما من خلال الجلد والشعر، وتمثلان عنصر المعدن. أما الكليتان فهما تنظمان حركة الماء في الجسم وتنسقان عملية التنفس وتخزانان العزيمة، وترتبطان بالأعضاء التناسلية، تنعكس طاقتهما في الشعر وتنتجان النخاع العظمي. وهما متزوجتان مع المثانة التي تتحكم في البول، وتمثلان عنصر الماء. أما الكبد فمسؤول هو الآخر على تخزين الدم وتنظيم سريان الطاقة ويخزن الروح، يتحكم في الأوتار، تنعكس حالته من خلال الأظافر ويرتبط بالعينين، متزوج مع المرارة مسؤولة عن الشجاعة واتخاذ القرارات، وسريان الطاقة والدم، ويمثل الكبد عنصر الخشب الذي يكبر يتفرع ثم يكسر مثل أمراض الكبد والمرارة. والطحال المتزوج مع المعدة مخزن الطعام والماء، يتحكم في الهضم والأطراف والأنسجة، يحافظ على الدم في الأوعية الدموية، ويخزن العزم والتصميم يرتبط بالهضم (الشهية)، وتنعكس حالته من خلال الشفتين، ويمثل عنصر الأرض (التراب). بالإضافة إلى عضوان أحدهما مصمت غشاء القلب يمثل عنصر النار، والآخر أجوف المسخن الثلاثي (السان جياو) عضو يقول عنه الأطباء الصينيون

له اسما ولا شكل له، يُكامل ويوفق بين وظائف أجهزة الأعضاء الأخرى. جدير بالذكر أن هذه الدورات من النشأة والتحكم تعد أساسية فيما يتعلق بالحفاظ على التوازن والانسجام يكون الاختلال إذا أصبح عنصر أقوى من الآخر.

و يرى ممارسو الطب الصيني الصحة و العافية من منظور توازن أو انسجام ، خصائص مختلفة و القوة الأساسية التي تفعم الشخص بالحياة و تنعكس خلال هذه الخصائص هي ال " كي " التي هي الطاقة المانحة للحياة التي تسري خلال كل المخلوقات و كذلك خلال الكون و يتخذ ال " كي " سبيله خلال الجسم في منظومة من 12 قناة رئيسية، تعرف بمسارات أو خطوط الطاقة المريديان **meridiens**، و التي تبلغ سطح الجسم عند نقاط شتى و كذلك جميع الأعضاء الداخلية وعندما يكون ال "كي" في اتزان، بما يعني أنه يسري بسلاسة في جميع أنحاء الجسم ، يكون الشخص في صحة جيدة . ولكن أي زيادة أو نقصان أو إعاقة أو اختلال في ال " كي " في الجسم سيسبب اعتلال الصحة أو المرض.

والخصائص الأخرى التي يجب أن تكون في اتزان من أجل صحة جيدة هي ال " ين " و ال " يانغ " ضدان يمسان كل شيء في الكون، هي نظرية فلسفية صينية، حيث تعتبر أن ظواهر الكون تتكون من تصارع أضداد وقوى متعاكسة تسمى الين واليانغ، وتعتبر هذه النظرية قانون عام يفسر معظم الظواهر الكونية وتغيراتها، وهي تستعمل بشكل واسع في الطب الصيني القديم لشرح الظواهر الفيزيولوجية والمرضية في جسم الإنسان، كما أنها تعتبر أساس التشخيص والعلاج. فداخل الدائرة يوجد قسمان الأسود وبداخله دائرة بيضاء "الين" والأبيض وبداخله دائرة سوداء "اليانغ" والخط الفاصل بينهما يعمل على إبقائهما متحركين ومتغيرين، ولكن ليس لأي منهما وجود مطلق دون الآخر بل هناك تداخل بينهما وتكامل دائما بين الأبيض والأسود مما يشير إلى أن أي أمر سيئ يقابله أمر جيد والعكس صحيح، كما يشير أيضا إلى أنه لا يوجد شيء مطلق وأن الأبيض قد يتخلله بعض من الأسود والأسود قد يتخلله بعض من الأبيض. و"الين" مصطلح يرمز للماء والمتضمن للسكون، الظلام، البرودة واتجاهه للأسفل، بينما "اليانغ" مصطلح يرمز للنار ويتضمن الحرارة، الضوء، الحركة واتجاهه نحو الأعلى.

إذن يمكننا القول بأن "الين" و"اليانغ" موجودتين في كل شيء في الكون، وهما متضادتين، ولكن في نفس الوقت تعتمدان على بعضهما البعض وتتكاملان. بما في ذلك أعضاء الجسم ويمثل الـ"ين" الصفات الأنثوية والسلبية والمظلمة والداخلية ويمثل الـ"يانغ" الصفات الذكورية والإيجابية والمضيئة والخارجية. وتنقسم الـ"ين" والـ"يانغ" إلى خمسة عناصر: النار والتراب والمعدن والماء والخشب كما أسلفنا الذكر سابقا. إن كل عنصر يقابل عضو "ين" وعضو "يانغ"، وتؤثر العناصر الخمسة وأعضاؤها المقترنة كل في الآخر. وتطبق "الين" في الطب الصيني على الجسم يظهر في الأعضاء والدم والسوائل، أما "اليانغ" يكون في الوظائف مثل عمليتي الهضم والتنفس، كما أن الجزء الداخلي من الجسم يعتبر "ين" والجزء الخارجي يعتبر "يانغ"، والرأس "يانغ" لأنه في الأعلى، والقدمين "ين" لأنهما في الأسفل، وكل من الكبد والقلب والطحال والرئتان والكلية تعتبر أعضاء "ين"، والمرارة والأمعاء الدقيقة، والمعدة، الأمعاء الغليظة والمثانة أعضاء "يانغ".

ومن هنا يمكن تحديد أسباب المرض من وجهة نظر فلسفة الطب الصيني من خلال وجود اختلال في عنصر من العناصر التي أسلفنا ذكرها، وكذلك المشاعر السبعة التي يعتقد أنها تبدأ بالفرح وتنتهي عند الغضب وتؤثر على صحة البدن والصحة العامة، حددت في الفرح والفرح ارتبطت هاته المشاعر بالقلب، فالفرحة الزائدة أو الذعر تضر بطاقته، القلق الذي ارتبط بالطحال يسبب ركود في طاقته مثلا القلق عند النساء يؤثر على طاقة الطحال وبالتالي يؤدي إلى اضطرابات في الدورة الشهرية، مشاعر الحزن والأسى مرتبطة بالرئتين مما يؤدي إلى خلل في الطاقة وبالتالي حدوث مشكلات في التنفس والشعور بالاكتئاب، أما الخوف فلقد ارتبط بالكليتين؛ حيث يؤثر على الاتجاه الطبيعي لحركة طاقتها، مثلا الخوف الشديد يؤدي إلى آلام أسفل الظهر، التبول اللاإرادي، أما مشاعر الغضب هي ترتبط بالكبد

مما يؤدي إلى رفع طاقة الكبد فينتج عنه الشعور بالصداع، توهج الوجه والدوار، واحمرار العينين. بالإضافة إلى البلغم الذي ينقسم إلى الشكل المرئي المؤلف لدينا، والشكل غير المرئي الذي يتجمع في الجسم ويكون ناتج عن مرض أو سبب لحدوث مرض مثلاً: نقص طاقة الطحال ➡ إنتاج بلغم ➡ تحرك إلى القلب ويحدث خلل ➡ يؤدي إلى اضطرابات عقلية. تخزين البلغم عن طريق الرئتين يظهر السعال، ➡ الربو يرتبط بزيادة إفرازه. تركيز البلغم في المعدة ➡ يؤدي إلى الشعور بالغثيان والقيء.

كذلك من أسباب الأمراض ركود الدم الذي يرتبط بألم أو تورم أو ظهور بقع على اللسان، والمشكلات والعيوب الخلقية، والأسباب الخارجية مثل الغذاء، الإجهاد والتعب، الوبائيات، الحوادث وغيرها.

2.2. التشخيص والعلاج في الطب الصيني:

من خلال الدورات التدريبية التي حضرناها يركز المدربون على التشخيص حسب فلسفة الطب الصيني التقليدي ويخصصون دورات تدريبية للتشخيص وحده، فهو يسبق العلاج وهو أساس نجاحه من فشله، إن كان هناك خطأ في التشخيص سيؤثر على العلاج، بل ومن الممكن أن تحدث مضاعفات. يتم التوصل إلى العلاج من خلال الخبرة، أما التشخيص فلا بد أن يكون دقيقاً لمعرفة ماهية كل الأمراض.

من خلال الاعتماد على الفحص أو النظر لشكل المريض، يلاحظون لون اللسان وملامسه وسمكه وتضاريسه وطبقته الخارجية، عينيه، أنفه، أسنانه، ولون جلده، بالإضافة إلى الاستماع لصوت المريض، وشم رائحته، والاستعانة بحاسة الذوق، كذلك طرح أسئلة لمعرفة شعور المريض ووصف الأعراض والتاريخ الطبي الشخصي، واستخدام فحوصات جسمانية عامة لتقييم الـ "كي" Qi والتعرف على الاختلالات والاهتمام بالنبض، هناك 28 نوعاً للنبض بإحساسه في ستة مواضع وعند ثلاثة أعماق في كل معصم¹. يركز الطب الصيني في التشخيص من خلال معرفة إن كان المريض "ين" أو "يانغ"، ومعرفة مستوى الطاقة والدم والسوائل من خلال تقييم الطاقة Qi كي. لا يتم تصنيف تشخيصات وفق مرض منفرد مثل الأنفلونزا ولكن يتم تعريفها كمتلازمات des syndromes أو أنماط من عدم الانسجام. ويمكن وصف هذه المتلازمات من حيث ثمانية معالم ألا وهي: السخونة مقابل البرودة، والخارجي مقابل الداخلي، والزيادة مقابل النقصان، الـ «ين» مقابل الـ «يانغ»، ويوضح الجدول يوضح الأسئلة العشر لتحديد إن كان المريض "يانغ" أو "ين":

¹ في الطب الصيني التقليدي تعطي النبضات المختلفة معلومات عن العديد من أعضاء وأجهزة الأعضاء وليس فقط عن تدفق الدم.

جدول يوضح الأسئلة العشر لتحديد إن كان المريض يانغ أو ين

السؤال	مريض أو متلازمة يانغ	مريض أو متلازمة ين
ما هو المظهر العام للمريض	يشعر بعدم استقرار، مضطرب، وجهه أحمر، عينيه حمراء، عدم التوازن	خمول، استرخاء، لا مبالاة
بماذا تشعر	حرارة عالية، مستمرة	قشعريرة
هل تشعر بالعطش	نعم	لا
هل تتعرق	لا يوجد عرق	أتعرق ليلاً
كثافة البول	كثافة عالية	كثافة قليلة
لون البول	غامق	فاتح
النبض	سريع	بطيء
شكل اللسان	أحمر غامق مع غطاء أصفر جاف	شاحب مع طبقة بيضاء
نشاط الجسم	إماء هذيان، انتفاخ البطن	كسل لا مبالاة فقدان الشهية
البراز	إمساك	براز طري

المصدر: سجلناها في دورة تدريبية حول الإبر الصينية في 2015.

بالنسبة للعلاج في الطب الصيني فهو مجال واسع لا يمكن التحدث عن كل العلاجات في هذا المقال لأن كل علاج يحتاج وحده دراسة كاملة، فمن خلال الدراسة الميدانية وجدنا أن أهم الممارسات العلاجية الصينية المنتشرة في مجتمع الدراسة تتمثل في الأعشاب الطبية الصينية التي تستعمل وحدها أو مع علاجات أخرى، وهي مصنفة أعشاب "ين" و"يانغ" تستعمل حسب الحالة المرضية، الحمامة هي وضع كؤوس الهواء في أماكن محدده مع الشفط ويضاف لها التشريط بحسب الدواعي الصحية للشخص عن طريق سحب الدم الراكد والمحمل بالمعادن الثقيلة ومخلفات التمثيل الغذائي من الجسم والذي يسبب أمراض كثيرة أو قد يسبب مرض في المستقبل. ويبلغ عدد مواضع الحمامة الحديثة على جسم الإنسان ثمانية وتسعون موضعاً؛ خمسة وخمسون منها على الظهر وباقي المواضع على الوجه والبطن مع ذلك لا يمكن الجزم بهذه المواضع فقط وخصوصاً عند استخدام نقاط الإبر الصينية، وتحديد أماكن الحمامة يجب أن يتم على أساس علمي وقواعد علمية ثابتة حسب ما قُدم في الدورات التدريبية وتنقسم إلى الأماكن التي احتجم عليها رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه المواضع هي المنتشرة عند معظم المعالجين في مجتمع الدراسة راجع الأمر في ذلك إلى لمعتقد الديني، الحمامة سنة نبوية، ومعظم المرضى يستعملونها لهذا السبب، وتكون هنا موسمية فقط أي في فصل الربيع في أيام 17، 19، 21 من الشهر القمري، بالإضافة إلى ذلك هناك مواضع حددت على الأساس التشريحي لأعضاء الجسم مثلاً: نقاط خاصة بالقلب، ونقاط الإبر الصينية التي تحدد من خلال مسارات الطاقة، بالإضافة إلى مواضع الألم وأماكن الركود الدموي. والحمامة في الطب الصيني تستعمل مع الإبر الصينية، ولها أهداف وقائية تُعمل بدون أن يشعر الشخص بمرض معين كما أنها تقوي من الأمراض وعلاجية تكون لسبب مرضي، فهناك العديد من

الأمراض المزمنة مثل الشلل بسبب الجلطة الدموية والتخلف العقلي والسكري والفيروسات. الإبر الصينية هي أسلوب علاجي يتم عن طريق الوخز بالإبر بالتعامل مع تدفق الطاقة الحيوية عبر قنوات الطاقة méridiens بهدف تنشيط حركتها والتخلص من أي ركود فيها، بالإضافة إلى العلاج والكي بالموكسا؛ التي هي عبارة عن لفات تحتوي على مفروم نباتات معينة مثل الشيح، تساعد على تخفيف الألم تستخدم خاصة في الشتاء وأمراض البرودة بصفة عامة. بالإضافة إلى علاجات أخرى مثل الرفليكسولوجي، التدليك، التايشي وغيرها... ويستعمل كل علاج لوحده أو مع علاجات أخرى حسب حالة المريض، وتساعد هذه العلاجات على تسليك مسارات الطاقة، وإن كان زيادة في الطاقة في "الين" يقوم المعالج بتنبيه "اليانغ" ثم تفريغ "الين"، أما إذا كان هناك زيادة في طاقة يانغ يتم تنبيه نقاط الين ثم تفريغ اليانغ، مثلاً الصورة اسفله توضح نقاط التحفيز والتفريغ¹:

العضو	نقاط التحفيز	نقاط التفريغ
الرئتين	lu ₉ - sp ₃ - li ₁₁	lu ₅ - li ₂ - ki ₁₀
القلب	ht ₉ - si ₃ - w ₁	ht ₇ - si ₈ - sp ₃
غشاء القلب	pc ₉ - sj ₃ - w ₁	pc ₇ - sj ₁₀ - sp ₃
الكبد	w ₈ - gb ₄₃ - ki ₁₀	w ₂ - gb ₃₈ - ht ₈
الطحال	sp ₂ - st ₄₁ - ht ₈	sp ₆ - st ₄₅ - w ₈
البنكرياس	ki ₇ - bl ₆₇ - w ₈	ki ₁ - bl ₆₅ - w ₁

صورة توضح نقاط التحفيز ونقاط التفريغ في الطب الصيني من انجاز د. طارق ربيع

أي باختصار فلسفة العلاج تعتمد على التحفيز أو التنبيه والتفريغ، وهذا لإعادة التوازن في الجسم، كما أسلفنا سابقاً تعتمد على الوقاية والعلاج من الأمراض عن طريق الانسجام والاستطباب الداخلي من خلال التركيز على مبدئين رئيسيين:

- أن الجسم البشري وحدة واحدة متكاملة عقل وجسد وروح.

- على التفاعل والعلاقة التكاملية بين الإنسان والبيئة.

¹ نقاط مسارات الطاقة يرمز إليه بالحرف الاول لمسار العضو سواء اللغة الإنجليزية، أو اللاتينية أو العربية مع رقم النقطة مثلاً:

نقاط مسار الرئة يرمز له ب: LU، P، (ر). نقاط مسار الكلى يرمز له ب: KI، R-RN، (كل).

نقاط مسار القلب يرمز له ب: HT، C، (ق). نقاط مسار القلب يرمز له ب: PC، MC، (أد).

نقاط مسار الكبد يرمز له ب: LV، F، (ك). نقاط مسار الطحال يرمز له ب: SP، RT-RP، (ط م).

خاتمة:

من هنا نستخلص أنه رغم تعقيد فلسفة الطب الصيني سواء في أسباب المرض أو التشخيص والعلاج، إلا أنها لقيت إقبالا كبيرا في معظم دول العالم، بما فيها الجزائر؛ حيث أنّ هناك فئة من المختصين في الطب الصيني تبنت هاته الفلسفة وممارستها رغم اختلاف ثقافتها العلاجية عن المجتمع الجزائري، وكان دخول هذه الممارسات العلاجية للطب الصيني عن طريق الدورات التدريبية التي يقوم بها مدربين أجانب خاصة من مصر والسعودية وفرنسا، وكذلك مدربين جزائريين منهم من درس في الخارج ورجع إلى الجزائر، ومنهم من كانوا معالجين وأصبحوا مدربين، مما ساعد هذه الممارسات على الانتشار هو الأمراض المزمنة وعجز الطب الحديث عن علاجها، اعتماد هذه العلاجات على الجانب العلمي وعلى الأدوات الحديثة مثل تلك التي تستعمل في الحمامة، انتساب فئة من المتعلمين والمتقنين بما فيهم الأطباء إلى ممارسة هاته العلاجات، والعولمة وانفتاح المجتمعات على بعضها البعض، والتنوع الثقافي في أي مجتمع ينعكس كذلك على الجانب الصحي.

فبعد اعتراف منظمة الصحة العالمية بالممارسات العلاجية التقليدية للعديد من البلدان وتقنياتها في معظم الدول، هناك أيضا في الجزائر من يسعى إلى الاعتراف بالممارسات العلاجية للطب البديل بما فيها الطب الصيني، التي تُسهم في العلاج والوقاية من العديد من الأمراض، وتحسين صحة الفرد وتحقيق الرعاية الصحية الجيدة للجميع من خلال الحث على الممارسات العلاجية ذات الصبغة العلمية البعيدة عن الممارسات المرتبطة بالوهم والشعوذة، وتقنين هاته الممارسات بفرض مراقبة من السلطات المعنية لتعزيز الاستعمال السليم لثقافة الطب الصيني في المجتمع الجزائري.

قائمة المراجع:

القرآن الكريم، سورة البلد، الآية 4.

- البdach عبد الله، تحديات وامال المركز الوطني للطب البديل والتكميلي، مجلة طب، المركز الوطني للطب البديل والتكميلي، الرياض، العدد الأول، 2012، موقع المجلة الالكتروني:

<https://web.archive.org/web/20190415075113/http://www.nccam.gov.sa/%d9%85%d8%ac%d9%84%d8%a9-%d8%b7%d8%a8%d8%aa.asp>

- الزين محمد شوقي، فلسفات الثقافة المعاصرة أمام تحديات العلوم الإنسانية، دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران 02، العدد 08، 16-01-2019.

- السباعي ابراهيم، هل يجهل الطبيب مريضه ومجتمعه؟ رؤية نقدية لمخرجات التعليم الطبي، مجلة طب، المركز الوطني للطب البديل والتكميلي، الرياض، العدد الثاني، 2014. موقع المجلة الالكتروني:

<https://web.archive.org/web/20190415075113/http://www.nccam.gov.sa/%d9%85%d8%ac%d9%84%d8%a9-%d8%b7%d8%a8%d8%aa.asp>

nccam.gov.sa/%d9%85%d8%ac%d9%84%d8%a9-%d8%b7%d8%a8%d8%aa.asp

- بشاي أليس اسكندر، "الاتجاهات الحديثة في دراسة الطب الشعبي التقليدي، بقلم محمد محمود الجوهري وزملائه، 77-202. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2009.

- بينلوب أودي، الدليل العلمي للطب الصيني، الفاروق للنشر والتوزيع، مصر، 2002.
- جريدة الشروق: بعنوان محلات الأعشاب والرقية تستقطب الجزائريين، يوم 2017/10/11، اطلعنا عليهم يوم 2017/12/17 في الساعة 22:00، بموقع <https://www.echoroukonline.com>
- جريدة الشروق 25.07.2006. اطلعنا على المقال يوم 2017/07/22 في الساعة 20:18. بموقع <http://www.echoroukonline.com/ara/?news=6222>.
- حامد هندومة محمد أنور، الأنثروبولوجيا الطبية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2016.
- حمادة مصطفى عمر، دراسات أنثروبولوجية في المجتمعات العربية، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، 2016.
- شراير ديفيد سيرفان، موسوعة الدويك للطب الحديث الطب التقليدي والبديل لجميع الأعمار، مكتبة جرير المملكة العربية السعودية، 2010.
- طارق ربيع، سلسلة الطب البديل التايجي، مكتبة ابن سينا للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005.
- منظمة الصحة العالمية (2013)، استراتيجية منظمة الصحة العالمية في الطب التقليدي (الشعبي) 2014-2023، موقع المنظمة: http://www.who.int/.about/licensing/copyright_form/en/index.html.
Consulté le 22/12/ 2014
- David Le Breton, Anthropologie du corps et modernité, Puf, France, 7^{ème} éd, 2017.
- Évelyne Micollier, Facettes de la recherche médicale et de la gestion du VIH-sida dans le système de santé chinois : un autre exemple d'adaptation locale de la biomédecine, Sciences sociales et santé, le site web, <https://www.cairn.info/revue-sciences-sociales-et-sante-2007-3-page-31-39htm>.
- Online, G, Complementary and Alternative Medicine (CAM) in Medical, Journal of Society and Space. 11 issue 1 ©12, 2015, pp. 183 – 193.
- Shelley R. Adler. (2002), Integrative Medicine and Culture: Toward Anthropology of CAM, Med Anthropol Q, pp. 412–414, p 412 in : <https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC2764405/>